المعاني المستنبطة من الفاتحة

الأولى: سورة قليلة الألفاظ غزيرة المعاني جمع فيها ما ضاقت عنه عقول العلماء، ولا عجب في ذلك فإنها من جوامع الكلم، فقد حوت أهداف القرآن الكريم ومقاصده في آياتها المعدودات وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن.

يقول الشيخ محمد عبده: ذلك أن القرآن يشتمل على المواضيع التالية وهي: توحيد، وعد، وعيد، تشريع، قصص.

1 - التوحيد: كان الناس وثنيين، فقام الرسول ﷺ يدعو الناس على توحيد خالقهم، وألغى كل ما يتخذه الناس من أولياء من دون الله. ففي معنى التوحيد قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

2 - الوعد: هو وعد بالرحمة والغفران والسعادتين الآجلة والعاجلة لمن آمن بكتاب الله وعمل به، والوعد

مطوي في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فذكر الرحمة في أول الكتاب ولا سيما وقد كررها مرة ثانية في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

3 - **الوعيد**: هو وعيد لمن أعرض عنه، وهو يشمل جميع نقم الدنيا والآخرة وشقائهما، وهي مطوية في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وهذه الآية تضمنت الوعد والوعيد معاً، لأن الدين معناه الجزاء وهو إما ثواب للمحسنين وإما عقاب للمسيئين.

4 - **التشريع**: ويشمل أحكام المعاملات وسياسة الأمة بقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أنه وضع لنا صراطاً مستقيماً، وتكون السعادة في الاستقامة عليه والشقاء في الانحراف عنه.

5 - **القصص**: وهو أخبار الذين تعدوا حدود الله، ونبذوا أحكام دينه ظهرياً، وهي مطوية بقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. تصريح بأن هناك قوماً تقدموا، وقد شرع الله شرائع لهدايتهم.

الثانية: القرآن الكريم يشمل على الإلهيات، والمعاد، وإثبات القضاء والقدر لله سبحانه وتعالى، والنبوات:

فقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ يدل على الإلهيات

وقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يدل على المعاد.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يدل على نفي الجبر والقدر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره.

وقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ يدل أيضاً على إثبات قضاء الله وقدره، ويدل أيضاً على النبوات.

الثالثة: قال بعض العارفين: إن حاصل جميع الكتب الإلهية ترجع إلى أمور ثلاثة: «إما الثناء على الله باللسان، وإما الاشتغال بالخدمة والطاعة، وإما طلب المكاشفات والمشاهدات».

فقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ كله ثناء على الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية.

وقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فهو طلب للمكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات.

الرابعة: ورد في صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل.. إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال الله: مجدني عبدي. وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**».

الخامسة: كأن العبد يقول: ما الحكمة في أن الله تعالى أوجب عليَّ الحمد لله رب العالمين؟. فقد يكون الجواب: لأن رب العالمين مربيهم ومحولهم من حال النطفة إلى العلقة إلى آخر الدور، لذلك أوجب شكره عليهم.

وكأن العبد يقول: أنا محتاج إلى الرزق والمصالح. فالجواب هو الرحمن هو الرزاق.

وكأن العبد يقول: أنا مذنب أيضاً فمن يغفر لي ذنوبي؟ فالجواب هو الرحيم غفار الذنوب والمعاصي.

وكأن العبد يقول: إن لي خصماء كثيرون من ينجيني من أيديهم؟ فالجواب هو مالك يوم الدين ينجيك من أيدي خصومك.

وكأن العبد يقول: نعم الرب أنت يا رب فأي شيء تأمرني أن أفعل؟.

فيكون الجواب قل: إياك نعبد، أي لك نوحد ولك نطيع.

وكأن العبد يقول: أنا ضعيف لا أقدر أن أعبدك فماذا أصنع؟

الجواب: استعن بالله وقل: إياك نستعين حتى يعينك.

وكأن العبد يقول: ما أكرمك يا رب وألطفك بعبادك فأي شيء أصنع حتى لا أفارقك ولا أغيب عن رحمتك؟

الجواب: قل: اهدنا الصراط المستقيم حتى لا تنقطع عن الله ولا تقنط من رحمته.

وكأن العبد يقول: إلهي صراطك المستقيم طريق من يكون؟

فالجواب: اتبع صراط الذين أنعم الله عليهم وهم: الأنبياء والملائكة والسعداء.

وكأن العبد يقول: إلهي من أي شيء أحذر حتى لا تغضب عليَّ ولا أضل عن الهدى؟

فيكون الجواب: احذر المغضوب عليهم، والضالين حتى لا يغضب الله عليك ولا تضل عن الهدى.

السادسة: قال بعض العارفين: سورة الحمد سبع آيات فاعتصم بها سبعة نفر:

فالحامدون: اعتصموا بقوله تعالى: الحمد لله رب العالمين.

والراجون: اعتصموا بقوله تعالى: الرحمن الرحيم.

والخائفون: تمسكوا بقوله تعالى: مالك يوم الدين.

والعابدون: تمسكوا بقوله تعالى: إياك نعبد.

والمتوكلون: تمسكوا بقوله تعالى: وإياك نستعين.

والمستقيمون: تمسكوا بقوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم.

والمحبون: تمسكوا بقوله تعالى: صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخر السورة.

فذكر الله تعالى لكل قوم كرامة.

فأما كرامة الحامدين قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

وكرامة الراجون قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[2].

وكرامة الخائفين في قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[3].

وكرامة العابدين: البشارة والمدحة. فقال سبحانه وتعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾[4].

وكرامة المتوكلين: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

(1) سورة إبراهيم، الآية: 7.
(2) سورة فاطر، الآية: 29.
(3) سورة الزخرف، الآية: 68.
(4) سورة التوبة، الآية: 112.

فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1] أي إن الله سبحانه وتعالى كافيه في كل شيء في الدنيا والآخرة.

وكرامة المستقيمين: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].

وكرامة المحبين: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3].

(1) سورة الطلاق، الآية: 3.
(2) سورة فصلت، الآية: 30.
(3) سورة المائدة، الآية: 54.